إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثامنة ـ العدد التاسع والعشرون ـ ربيع ١٣٩٧ش / آذار ٢٠١٨م
صص ١٨٠ ـ ١٥١

ترسبات الغزو الأمريكى للعراق (٢٠٠٣م) فى الشعر العراقى الجديد؛ بشرى البستانى نموذجا

مرتضى زارع برمى*

الملخص

ينوى هذا البحث تقديم موضوع الحرب بوصفه منتجاً مؤثراً فى صميم العملية الإبداعية (الشعر) من خلال شعر الشاعرة العراقية، بشرى البستانى. حرب الخليج الثالثة وقعت فى العراق سنة ٢٠٠٣م واستمرت من ١٩ مارس إلى ١ مايو ٢٠٠٣م. وأدت إلى احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ومساعدة دول أخرى مثل بريطانيا وأستراليا وبعض الدول المتحالفة مع أمريكا، وهكذا اتجه الشعر العراقى الجديد إلى اتجاهين، الأول: الصامت الذى لاذ بالدمع فى زمن العنف الذى أبرز تجلياتها هى الجثث والرؤوس المقطوعة، وأنقاض الحياة المدمرة، والثانى: المقاوم الذى عمل على رصد أسباب الهزيمة، فنادى بالصمود والتحدى، وحث على الجهاد، وفرح للنصر على قوات الاحتلال. إن هذا البحث يبين أهمية هذه الأصوات وترسباتها فى الشعر الوطنى العراقى من منظار الأعمال الشعرية لبشرى البستانى، على اعتبار أنها من إحدى أهم شعراء المقاومة العراقية فى مواجهة قوات الاحتلال الأمريكى. ومن نتائج البحث هى أنّ الشاعرة راوية أدبية ومراسلة حربية تصور المعركة الشاقة والحرب الضروس المفروضة على العراق من قبل أمريكا وحلفائها بكل وسائلها وتكشف عن طرقها الملتوية وأساليبها الشيطانية وأهدافها المعلنة والمستورة.

الكلمات الدليلية: حرب العراق ٢٠٠٣م، الاحتلال، أدب الحرب، شاعرة الحرب.

---

*. أستاذ مساعد فى قسم الترجمة العربية بجامعة دامغان، سمنان، إيران
tmu.zare@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٣٩٦/١١/٢٧ش تاريخ القبول: ١٣٩٧/٣/٨ش

١. المقدمة

لتوضيح ما ترسبت من أحداث الغزو فى الأدب العراقى الجديد ينبغى أن ندخل فى بعض تفاصيل الغزو وكيفية حدوثها وتطوراتها التى سوف تساعدنا فى فهم الحاضر والتطلع إلى المستقبل، وفى بداية الحرب حدّد المسؤولون الأمريكيون وفى رأسهم جورج دبيلو بوش، رئيس الولايات المتحدة أهدافاً ثمانية لهذه الحرب منها: ١. صدام وراء الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة وبأنه يخطط لتزويد المنظمات الإرهابية وخاصة تنظيم القاعدة بأسلحة الدمار الشامل يمكن أن تستخدم فى تهديد الأمن العالمى بشكل عام وأمن الولايات المتحدة بشكل خاص؛ ٢. إنهاء نظام صدام حسين؛ ٣. معرفة مكان أسلحة الدمار الشامل العراقية وعزلها والتخلص منها؛ ٤. البحث عن الإرهابيين والقبض عليهم وطردهم من البلاد؛ ٥. جمع المعلومات الاستخبارية المتعلقة بشبكة الإرهابيين؛ ٦. إنهاء العقوبات وتقديم المساعدات الإنسانية للمشردين والمواطنيين المعوزين الكثر؛ ٧. حماية حقول البترول وثروات الشعب العراقى؛ و ٨. مساعدة العراقيين على إيجاد ظروف مناسبة للانتقال إلى حكومة ذاتية. (أبوعرقوب، ٢٠١٤م: ٤٤٧؛ صارم، ٢٠٠٣م: ١٦٧-١٦٨)

فإذا استخدمنا طريقة التحديد بالاستبعاد، فى الإجابة عن التساؤل حول ما هى الأهداف التى يمكن أن تكون أمريكا قد سعت إليها من وراء غزو العراق واحتلاله، واستبعدنا الأمور التى هناكاتفاق على عدم صحتها مثل أسلحة الدمار الشامل وعلاقة النظام السابق بالقاعدة، فإنه ستبقى عندنا ثلاثة أهداف محتملة غير معلنة: هدف إستراتيجى بسبب موقع العراق، وهدف النفط والسيطرة عليه، والهدف الثالث هو حماية أمن إسرائيل، تلك الأهداف غير المعلنة المتبقية والمحتملة لغزو وإحتلال أمريكا للعراق. (حسيب، ٢٠٠٦م: ٦) وأكد عليها عدد من الخبراء السياسيين كما يجمع المحللون العسكريون بأن وضع نظام صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية أضعف بكثير من عام ١٩٩١م. فى حرب الخليج الأولى، إذ هُزمت جيوشه وأصبحت ترسانة العراق وقوته العسكرية عاجزة بسبب وجود حظر على استيراد السلاح ووجود مناطق الحظر الجوى على الطيران العراقى، وقيام الطائرات الأمريكية والبريطانية بقصف مواقع القوات

العراقيــة باســتمرار. ودخلت لجنة الأمم المتحدة للتفتيش عن الأســلحة، العراق لأول مــرة عام ١٩٩١م. وبقيت حتى عام ١٩٩٨م. والمرة الثانية من خلال بعثة الأمم المتحدة للتفتيــش، من عام ٢٠٠٢م. إلى ما قبل الحرب بأيام قليلة فى آذار ٢٠٠٣م. إلى جانب مفتشى وكالة الطاقة الذرية (IAEA). وورد فى تقرير الأمم المتحدة بعد مغادرتها العراق أن ٨١٧ صاروخاً بالســتياً ســوفييتى الصنع بعيد المدى من أصل ٨١٩ صاروخاً يملكها العراق قد تم تدميرها فضلاً عن تقرير هيئة الطاقة الذرية فى ٢٥ نيسان ٢٠٠٢م. الذى أكــد عدم وجود أى دليل على أن العراق يمتلك أى قدرة مادية على إنتاج كميات من المواد النووية التى يمكن اســتخدامها كسلاح، وفيما يتعلق بترسانة الأسلحة البيولوجية العراقية فإنها مجرد مبالغات، إذا ما أخذت ظروف الأســلحة الكيماوية والذخيرة التى أنتجت فى ذلك الحين ونوعيتها بالاعتبار، نجد أنه ليس هناك احتمال بقاء أســلحة من هذا النوع منذ أواسط ثمانينيات القرن العشرين. (راتنر، ٢٠٠٣م: ٢٥-٢٩)

وأُطلِــق رصاص الرحمة بحرب التآمر حينما أعلن مفتش الأســلحة الســابق التابع للأمم المتحدة "ســكوت ريتر"فى جلســة اســتماع الكونغرس بأن العراق أصبح منزوع الســلاح كلياً ولا يهدد الولايات المتحدة أو دول الشرق الأوسط وقال: إن إدارة بوش لا تريد إعادة تفتيش العراق بل تريد الحرب. (تشومسكى، ٢٠٠٣م: ٦٧)

والشــاعرة بشرى البستانى، كما جاء وسيأتى، مثل الكثيرين من الخبراء، تنقلنا إلى اختلاق القيادة الأمريكية للتبريرات الســابقة واختلاق عناوين لقصص أخبارية زائفة فى الإعلام العالمى التى معظمهاأنّ العراق كان صوامع الصواريخ وأنواع أســلحة الدمار الشامل، ونحن مثلها رأينا أن كلها تبريرات زائفة لا أساس لها من الصحة لأن أمريكا لم تجد أسلحة الدمار الشامل فى العراق ولكن بدلا منها جلبت الفوضى، وإن ضريبة الذل والقتل والتدمير والخســائر الإقتصادية فى الثروات العراقيــة هى أضعاف مضاعفة لما دفعه العراقيون من ضريبة الذل أثناء حكم صدام حسين. (أبوعرقوب، ٢٠١٤م: ٤٤٩)

١-١.أهمية البحث

وتكمن أهمية هذه الورقة فى عرض القضايا التالية:

١) أن الدول العربية منذ تأسيسها شهدت تفاعل عدة متغيرات أساسية، منها ما ارتبط بالبيئة الداخلية وعواملها، ومنها ما ارتبط بالبيئة الخارجية والدولية ومنها الدول التوسعية الكبرى، وما ترتب على ذلک من أنماط تأثيرات انعكست تداعياتها على طبيعة الأدب وأنواعه ومنه شعر الحرب.

٢) أن الولايات المتحدة لم تتزوج العراق، بل اغتصبته اغتصابا. وكان وفودها إلى العراق وفوداً عسكرياً مفروضاً بقوة السلاح، فقام الصراع بين الوجودين المختلفين والمتباعدين، وبقيت نقمة الشعب على محتل متفوق غريب تعبر عن نفسها بانتفاضات كانت تحمل الكثير من الرفض.

٣) إن نصوص بشرى البستانى الشعرية هى صيحات بوجه الجثة الحية للحرب الأمريكية المفروضة (عام ٢٠٠٣م) التى ترفض الموت والغياب رغم اندراجها فى تاريخية الحوادث، إنها التاريخ الخفى للحرب الذى تحاول النصوص أن تستقرئه وتستجليه، تلک الحرب التى لا تنى تستعاد وتستجد بأساليب شتى تحت مظلة المخادع.

١-٢. أسئلة البحث

فهذا البحث ينطلق من سؤالين:

١) ما هى الدوافع النفسية والاجتماعية والسياسية التى جعلت الشاعرة تحمل راية المقاومة وأجبرتها على كتابة قصائد الدم؟

٢) وما هى مضامين شعر البستانى المعادى لقوات الاحتلال وما هى كلماتها التى تطلق مثل الرصاص؟

١-٣. منهج البحث

أما المنهج المتبع فى هذا البحث فهو تحليلى يقوم على دراسة الانعكاسات لحرب شرسة من حيث مصادرها وأساليبها ووسائلها والجمهور المستهدف منها وخسائرها المعنوية والمادية، وليكون البحث أكثر تحديدا وأطوع للدراسة فقد قُيِّد بالقصائد التى نتجت عن تجربة الحرب التى مرت بها الشاعرة وسجلتها بين جدرانها أو بعد خلاصها منها.

١-٤. خلفية البحث

إن فضاء البحث العلمى فى موضوع شاعرنا البستانى، مازال محتفظاً بعذريته، ولكن توجد دراستان هامتان عنأدب الحربفى العراق وإختصاصهما بمراحل زمنية محددة، ألا إنهما:

رسالة الدكتوراه المعنونة بـ«أدب الحرب الروائى العراقى النسوى المعاصر»، أنغام عبدالرزاق عبدالله قدمت بحثاً فى مركز الدراسات النسوية بجامعة يورک فى المملكة المتحدةعن مجموعة من الروايات والقصص، التى كتبتها نخبة من الروائيات العراقيات فى أثناء الحروب الثلاث التى شهدها العراق: الحرب العراقية الايرانية (١٩٨٨-١٩٨٠م)، وحرب الخليج الأولى (١٩٩١-١٩٩٠م)، وما تلاه من غزو أميركى ودولى للعراق فى العام ٢٠٠٣م. تتناول أطروحتها وصفاً للظروف السياسية التى أحاطت بكل من هذه الحروب وتظهر للقارئ الأوروبى مدى تأثير هذه الظروف على الحياة بشكل عام وعلى وضع المرأة العراقية بشكل خاص، ثم مدى تأثير هذه الحروب على النتاج الأدبى بشكل عام ونتاج المرأة الكاتبة والمبدعة بصورة خاصة.

والكتاب المعنون بـ «ترسبات الحرب فى الشعر العراقى الجديد وقراءات أخرى»، مقالات متسلسلة تناول على الإمارة فيها تجارب شعرية ضمن قصائد مختارة لشعراء مثل منذر عبد الحر وطالب عبد العزيز وجمال جاسم أمين ورعد فاضل وأمل الجبورى وعلى الفواز وعلاوى كاظم كشيش وماجد الحسن وسهام جبار وعلى حبش وكريم شغيدل ورياض الغريب وزيد الشهيد، يقول على الإمارة حين استقصيت هذا الموضوع فى الشعر العراقى الجديد ولاسيما فى عقد التسعينيات ومابعده وجدت أنها ظاهرة شعرية حرى بنا أن نقف عندها حتى لو كانت وقفة عابرة موجزة لكنها بالتأكيد قابلة للتطوير والتوسع والانتقاء وإعطاء النصوص المختارة استحقاقها من النقد والتحليل والتأثير.

٢. أدب الحرب

يُطلق مصطلح "أدب الحرب" على جميع الكتابات ذات الصلة بالنزاعات المسلحة،

سواء أكانت شعراً أو قصة أو رواية أو مذكرات يومية أو رسائل أو غيرها من الأنواع الأدبية. ويشمل كذلک الحوارات مع ضحايا الحرب الأبرياء، كالنساء المغتصبات والأرامل وغيرهن. ويصوّر أدب الحرب فظاعة الاقتتال، وآثارها المدمرة على المحارب نفسه وأهله والبيئة والثقافة والمجتمع بشكل عام. فهو أدب إنسانی النزعة، مناوئ للعدوان، مناصر للعدل والسلم والحياة فی الحاضر والمستقبل (القاسمی، ٢٠١٥م: الموقع الإنترنتی للقدس العربی)، لأن الحرب حين تصبح جرحاً شعرياً فی قلب الإنسان الشاعر ينزف بالقصائد أو تنزف القصائد به حتی آخر عمره وحين تنثقب الذاكرة بمثقب الفقدان يتسرب الماضی من بين أصابع الشعر، وحين يبدو المستقبل قنديل أمل ويأس نتشبث بالحاضر نحاول إملاءه بالشعر حتی يسيح علی الماضی و المستقبل فيصير تاريخا كاملا. (الإمارة، ٢٠١١م: ١٥)

٣. ترسبات الحرب (٢٠ مارس ٢٠٠٣م) فی نصوص بشری البستانی الشعرية

إذا كان مهمة الشعر مثلما يقول هاوسمان (هی تنسيق أحزان العالم) فإن مهمة الذات الشاعرة (بشری البستانی) فی هذا النص الكشف عن الخوف والحزن اللذين يحتاجان النفس الإنسانية حينما تنتظر فعل القهر والدمار المنبعث من أدوات الموت التی يصنعها الآخرون من اجل استلاب الإنسانية، ذلک الخوف الذی يتشظی ليشمل كل ما هو حی أو غير حی وليتمخض بعد ذلک عن فعل مقاومة يتحقق النصر بعدها لصدق القضية وحتمية انتصار الإنسان علی العدوان. (هياس، ٢٠١٢م: ٢٦)

٣-١. أسلحة الدمار الشامل العراقية بين أكاذيب التحالف اليومية

بدأت الحرب فی ٢٠٠٣/٠٣/١٩م. علی أساس امتلاک العراق لأسلحة دمار شامل، والشاعرة تخبرنا بأن القيادة الأمريكية اختلقت فی التبريرات السابقة وعناوين لقصص أخبارية زائفة فی الإعلام العالمی التی معظمها أنّ العراق كان صوامع الصواريخ وأنواع أسلحة الدمار الشامل، إذ نری كيف حولت الشاعرة قضية شخصية خاصة وهی شعور امرأة العزيز الأنثوی تجاه النبی يوسف إلی قضية وطنية، (يوسف = العراق)، والقضية

أصبحت عامة فضلا عن أن النص ربط بين تزوير امرأة العزيز وافترائها مع تزوير أمريكا التى اتخذت (أسلحة الدمار الشامل) حجة لإبادة العراق، فضلا عن أن الشاعرة استطاعت أن تجسد روح الانتقام لدى أمريكا وعدوانها المقصود. لقد نجحت الشاعرة فى امتصاص الحدث القديم من النص القرآنى، والاكتفاء بإشارة واعية حولت بها حدثا وزمانا ومكانا إلى النص الحديث:

«وافتحى الدوائرَ المقفلةَ يا أسورة امرأة العزيز/ فقد آن للنسوة أن يداوينَ جروحَ أيديهنَّ ../ وآن للسكاكين آن تسقط ../ انهضى يافتنة الناجين.» (البستانى، ٢٠١٢م، ب: ٢٠)

هنا تصِرُّ الشاعرة أن ترسانة صدام لأسلحة الدمار الشامل غير موجودة ولا أساس لها من الصحة حينما قصفت أمريكا جثث الموتى فى المقابر بحثاً عنها، وأثناء ارتكاب هذه الجريمة ضاعفت ضريبة ذل ووجع العراقيين أضعافاً مضاعفة لما دفعه العراقيون من ضريبة الذل والوجع أثناء حكم صدام حسين:

«والصواريخُ تسقطُ/ تفجِّرُ المقابرَ بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل/ فتطايرَ الجثثُ جماجمَ/ وأشلاءَ صدورٍ وسواعد ../ يأتيها الصبيةُ بفكّ سفليٍّ وأصابعَ عظمية ../ وأشلاء كتفٍ أنثويّ/ ما جفَّ فيه العبيرُ بعد ../ يأتونها من سطوح الحيِّ المجاور للمقبرةِ/ بعظام محاجر وجماجم لصبياتٍ/ مازالت خصلُ شعرهنَّ تتهدّل.» (نفس المصدر، ب: ٣٧)

الصواريخُ تهوى بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل وهم بأسلحة الدمار الشامل يُبيدونَ العراق. (نفس المصدر، ب: ٦٧) نعم، البستانى فى دهشة من خيانة الولايات المتحدة تماماً لأنها استخدمت فى عملياتها العسكرية القنابل العنقودية المحظورة قانونيا، كما أسرفت فى استخدام قذائف اليورانيوم المنضب والسموم البايولوجية التى يبقى أثرها المدمر على أشكال الحياة كافة عهودا طويلة، ذخائر اليورانيوم المنضب التى استخدمت القوات الأمريكية فى العراق قدرت ب. ٤٠ طناً، وبعض الخبراء العسكرين قدروها بـ ٣٠٠ طن، أحدثت مواد سامة أثرت فى نصف مليون إنسان أصيب بعضهم بسرطان الدم و بشكل خاص الأطفال. (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٢٠)

«فى الوطن العربى/ أمريكا أهدتكَ قذائفَ يورانيوم/ كى تعقم/ كى تتسمم/ قال

الطفل/ ماما أكره أمريكا» (البستانى، ۲۰۱۲م، آ: ۲۲۷)،

و«صـاح صائـحٌ فى المدينة:/ لقد قذفـت الطائراتُ الأمريكيـةُ فى الأنهار/ سموماً بايولوجية/ فأقفلوا صماماتِ المياه الخارجيةَ/ وليكتف الناس بمياه بيوتهم حذرَ التسمم/ أقفلنا صماماتِ الأنابيب وعطشـنا/ جفَّت النساءُ وبكى الأطفالُ.» (نفس المصدر، ب: ٥٤)

وتجدر الإشارة إلى أن اسـتخدام اليورانيوم المنضب من قبل الغزاة وآثاره الرهيبة على السـكان العراقى، فضلاً عن الكارثة البيئية من جـراء حرق آبار النفط الكويتية والـتى قـدرت كميتها بما يقرب من أربعة إلى خمسـة ملايين برميـل فى اليوم. (مجموعة الباحثين، ۱۹۹۵م: ۱۷۵)

۳-۲. الهجمات العشوائية والقتلى المدنيين

كلمات البستانى مرآة للغزو الذى بدأفى الساعة ۰۵:۳۰ بتوقيت بغداد وتميز بإستخدام تقنيـات الصدمة والرعـب، وتدمير البنى التحتية للعراق وخاصـة التعليمية والصحية، وحرق مؤسسات الخدمة المدنية والمستشفيات من خلال الإستخدام المفرط للقوة وشن الغارات الوحشـية بصواريخ التوماهوک ودبابات تشالنجر (دون الاسم، ۲۰۱۰م: ۲)، لأنهـا عدت خروجا على مبدأ مهم فى القوات المسـلحة الأمريكية وهو الحصول على أكبر المكسـب بأقل الخسائر الممكنة للمغتصبين ومعظم الأضرار للفاشلين (عبد الكاظم وخلف، ۲۰۱۵م: ۲۰۲):

«زجـاجُ القصف يمـزقُ أكفّ الأطباء/ صالات العمليات معتمـة/ الصواريخُ تهوى على محطاتِ الكهرباء/ على إسالة الماء/ على معامل الأدوية و الأغذية/ على الأحياء الكثيفة بالفقراء/ تطايرُ شـظايا أصابعکَ/ أسمعُ فى الأعماق صرختَ جنينى/ فزعاً يمزّقُ أحشائى/ يحاولُ الهربَ، لكن إلى أينَ؟!» (البستانى، ۲۰۱۲م، ب، ٦٧-٧٢)

ولعل مئات آلاف الأطنان مـن الدمار التى ألقتها قوات التحالف قد ألحقت الدمار والخسـائر البشـرية للشـعب العراقى الصابربعامة وزد على ذلک آلاف من الجرحى والمعاقـين من الأبرياء صغاراً وكباراً. (البـع، ۲۰۱۱م: ۱۰۳۱) لذا مثلت الحرب مداراً

للشـعر الرافض لما فعلته بالبشـرية من قتل وتخريب وتشـريد، وما خلقته من جسـور الدم والآلام، لقد كانت رؤية الشـعراء للحرب رؤية استبصارية اذ قبضوا على اللحظة الساخنة عندما رأوها لحظة مكتملة للرصد والاستكشاف وقراءة المسكوت عنه. كما في قصيدة (بانتظار القصف) التي رسمت البستاني رفض الحرب بكل تفاصليها:

«دقّت الصافرة/ هو الوقت لا ينقضي/ يقطعُ الوقتُ أوردَتي/ والدقائقُ ليسـت تمرُّ/ تعلِّقُني فوق حبلٍ مدلّى ../ تسائل:/ من سيموتُ بأخرةِ الليل:/ طفلي،/ أخي،/ جارتي؟/ يدُ من سـوف تقطعُ في آخر الليلِ،/ أو سـاقُه؟/ جسمُ من ستهشَّمُ؟/ تلكَ الصواريخُ.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٣٤٠-٣٤١)

إن الذات الشـاعرة تجتهد في تحقيق مجموعة مـن الروابط والعلائق بين هيكل البنى النصية وشـفرات معانيها، اذ تهتم بفرز وحشـد التفاصيل الحياتية المترشحة من وقائع وأحداث موجهها الكلي رفض الحرب وهي الموضوعة التي تشـغل ذهن الشاعرة، كما أنها تحرق أحاسيسـها وتتلوع من جراء وقائعهـا، فصورة دقت الصافرة مفصل رؤيوى فجائعي ولد مشهداً يومياً للحالة المعيشة التي تحياها الشاعرة عبر فضحها للواقع الذي تخلقه الحرب وفعل الصواريخ في البشـر، من سـيموت بآخرة الليل وجسم من ستهشم تلك الصواريخ، فتشـطير الفجائعي اليومي المعلن يكون فضاء للصور البشـعة المؤلمة. (هياس، ٢٠١٢م: ١٠٢)

هذه الصورة البشعة تصل إلى ذروتهاحينماتسمع وترى صفير القنابل وجثث طلاب جامعة موصل المشوهة، فلا تعرف قطعة كبيرة من قطعة صغيرة ولا الذكر من الأنثى:

«وسط الجامعة/ والشباب يدورون حول الحديقةِ/ قمصانهم بيضُ/ كُتبٌ/ كراريسٌ/ بعد دقائق يبتدئ الامتحان ../ تدوّى القنابل/أكفٌّ تطير وأشلاءُ لحم طريٍّ/ جروحٌ تنزَّ دما/ والكراريس تلقفها النارُ/ يهوى الشـبابُ وقمصانهم حمرُ.» (البستاني، ٢٠١٢م، آ: ٣١٣-٣١٤)

٣-٢-١. الطفل العراقي في ظل النزاعات المسلحة وإرهاب الدولة الأمريكية

أطفال العراق، في ثمانينات القرن الماضي حرمتهم حروب النظام السابق من الاستمتاع

بطفولتهم البريئة، وفى التسعينات تسببت العقوبات الدولية والحصار الاقتصادى الذى فرض على الشعب العراقى بحرمان الأطفال الرضع من الرعاية الصحية والغذائية، فافترست الأمراض بشتى أنواعها جيلاً من الصغار، ومات بسبب العقوبات التى استمرت ١٢ عاماً أكثر من مليون طفل قهرهم المرض بعد أن فقدت أسرهم الأمل فى إيجاد دواء لتخفيف آلامهم وأوجاعهم، كما تسبب الحصار غير الإنسانى أيضاً فى أن أصبح ربع أطفال العراق يعانون من سوء التغذية، وكما هو معروف فإنّ العقوبات الاقتصادية المفروضة، تُعدّ أسوأ أنواع الإرهاب الذى يرغب الأمريكان باستخدامها ضد أعداءه ومعارضيه من الأحرار ودول العالم الثالث. نحن فى القرن الحاضر، ولم يتخلص أطفال العراق من معاناتهم وآلامهم ومخاوفهم، ففى ظل الإحتلال الأمريكى البريطانى صار الموت يطارد كل صغير، وهذه المرة بفعل آلة الحرب التى تستخدمها ما تسمى نفسها بقوات التحالف (مُرسى، ٢٠١٢م: موقع المنال الإنترنتى، والمعينى والأعظمى، ٢٠١١م: ٣٢). تقول بشرى البستانى فى قصيدة لها بعنوان «أسمعُ فى عزِّ الليل»:

«يا أيها الطفل الذى جاء بلا يدٍ/ ولا قدم ../ لكنّ فى وجهه قنديلين أخضرينِ ../ يبتسم ../ ويسأل القابلةَ السمراء ../ عن سرّ دمعها/ عن وجه أمه الذى/ يشيحُ عنه نحو طائرة ../ تحومُ فى السماء ../ قال الطفل:/ ماما يفزعنى هذا الصوت ../ قلتُ له ../ أغمض عينيكَ، تمرّن، نم/ موسيقى عصركَ هذى يا ولدى ../ فى الوطن العربى/ أمريكا أهدتك صواريخَ ودبابات ..» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٢٢٦-٢٢٧)

يتراءى أمامنا مشهد حزين لطفل مبتور اليد والقدم ولكنه أوتى من الجمال والفطنة والذكاء الكثير ونجده يتساءل عن سر انشغال أمه عنه بالطائرة وهو لا يدرك حجم المأساة التى يئن منها الشعب العراقى من إستلاب الحرية والكرامة الإنسانية له، ومن هذا العالم المتمدن القاهر بوحشيته، يحاول الطفل جاهداً أن يلجأ إلى أمه لعلها تكون ملاذاً ولكن الأم تعزى ولدها من عصر يغتال الإنسانية ويحول كل ملامح الحياة إلى موت، فالقابلة التى يرتبط حضورها بالأنثى وطقوس الولادة وما بها من دلالات الحياة تكون فى مواجهة الموت الذى تحيل إليه أمريكا.

٣-٣. تحريف وكالات الأنباء لحقائق الحرب

قامت وسائل الإعلام لقوات التحالف بنشر فلم فيدئو على اليوتيوب يحمل صورا لجنود التحالف ولاسيما الجنود الأمريكان يتبادلون الحديث مع أطفال عراقيين وعائلات عراقية، وهم يقدمون الحلوى والألعاب والكتب للأطفال ويداعبونهم ويقدمون لهم خدمة طيبة فى الوقت الذى كان الأطفال فيه يضحكون ويلوحون بأعلام التحالف ويحضنون المغتصبين ويقبلونهم. إن الهدف من هذه الصور هو إظهار العلاقة الطيبة بين المحتلين والسكان وغرس صور ذهنية طيبة فى أذهان الجماهير العالمية عن قوات التحالف بأنهم رحماء وإنسانيون وإن الغزو على العراق هى غزو التحرير. (أبوعرقوب، ٢٠١٤م: ٤٥١) لكن تخبرنا الشاعره فى قصيدتها «أندلسيات لجروح العراق» عن تحريف واقع الحرب وعن المشاهد التى تعرّض فيها أطفال العراق للقتل المباشر خلال عمليات التفتيش ومراقبة حركة المرور التى تقوم بها القوات الأمريكية للأحياء السكنية فى مدن العراق كافة، وخاصة فى مدن الفلوجة وحديثة والمحمديات وتلعفر والرمادى والنجف والموصل (دون الاسم، ٢٠١٠م: ٢):

«الجنديُّ الأمريكيُّ/ يطلقُ ناراً فوق جبينِ صبيٍّ/ سقطَ الطفلُ بِبركةِ دم/ إذ فكّوا صدره كانت أرغفةُ الخبز/ تَنزِفُ تحت قميصِه/ دباباتُ الغزو تدور/ وهَمهَمَةُ الجندِ/ اَلموصلُ تُوجِعها ثَرثرةُ العرباتِ.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ١٢٤و١٢٩)

وقد بدأ بتناص تاريخى فى العنوان "أندلسيات لجروح العراق" فهو استحضار لمأساة الأندلس رمزاً للفقدان والضياع مع سحبها على ما يحصل فى العراق الآن وما سيؤول إليه الحال فيما سيأتى فهل ستكون هذه الجروح محفورة فى ذاكرة الزمن كما هى جروح الأندلس؟ هذا ما يشى به العنوان فى تكثيف دلالى مميز وفى لغة مشحونة بكل مرجعيات المدن التاريخية (هياس، ٢٠١٢م: ٢٨٣):

«دبابات القتلِ تدور/ بغداد ../ سمرقند/ غرناطة تنهد/ هولاكو يتَرصَّدُنى/ يقطعُ رأسى/ دباباتُ الغزو تدور/ يلوّثُ ثوبى نَفثُ الدبابات/ تَثقبُ روحىَ عينُ الأمريكى/ هديرُ الدبابات/ يزرعُ فى قلبِ الأرضِ/ دموعاً أخرى/ دباباتُ السلبِ تدورُ/ تبكى الأرضُ من الحمّى/ شواطئُ دجلةَ غبراءُ/ تبكى دجلةُ فى قلبِ الليلِ/ وقلبُ الليل/

ينزفُ أندلساً أخرى/ وفلسطين/ دباباتُ الحقد تدور/ غرناطةُ تعدو في قمصانِ الليل/ يلاحقُها الذئبُ التترى/ دباباتُ الغزوِ تدورُ/ معابرُ بغداد/ تبكى/ الأنهارُ/ الأسماكُ/ الشرفاتُ/ تبكى./الآباء/ يُخفونَ الطلقاتِ بصدر العذراواتِ/ ضفائرهنَّ على الرملِ/ يُخَضّبها الدم/ وجعٌ في أعينِهنَّ عراقيٌّ.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ١٠٤-١١٣)

يستدعى سقوط بغداد الثانى فى يد المحتلين، عام ٢٠٠٣م. من الذاكرة، استرجاع سقوط بغداد الأول على يد جيش المغول عام ١٢٥٨م. بقيادة هولاكو الذى دمر المدينة العظيمة، وجعلها عرضة للنهب والاغتصاب والسبى، وبدّل وجهها الضاحک إلى عابس كالح، وأعمل القتل فى سكانها، و استرجاع سقوط غرناطة آخر دولة إسلامية فى شبه الجزيرة الإيبيرية حيث أدت إلى توسيع الممالک المسيحية فى عام ١٤٩٢م. وكذلک استرجاع النكبة أثناء حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨م. ويوم النكسة ٥ يونيو ١٩٦٧م. فى حرب الأيام الستة. وهنا فعل الجندى الأمريكى بالعراق وبالعذارى العفيفات المحصنات اللواتى يسوقهن إلى انتهاک الحرمة والموت أمام عيون آبائهم الذين ليسوا قادرة على الدفاع عن بناتهم. إنها صورة مؤلمة، تصوغها الشاعرة بألم صادق، وعاطفة حزينة، وحينما تتغلغل الرصاصة فى جثثهن الغضة الناعمة، فأنّى لهن النجاة أو الإفلات، وأنّى لأحد أن يخلصهن من هذه المخالب القاتلة. وهنا تصبح لغة قصائدها مدمراً مستسلماً للموت، غارقاً فى الدموع وفضاءاً حافلاً بالحزن واليأس، وألفاظها مملوءة بمفردات التوتر والوحدة والخوف.

٣-٤. ثلاثية الصمت والخيانة والتعاطف فى حرب الخليج الثالثة

٣-٤-١. صمت المجلس الأمن

لم تقتصر البستانى فى مناشدتها للضمائر الحية على عموم الخطاب للعالم والإنسانية؛ بل أخذت تخصص الخطاب لتلک المؤسسة الدولية هى مجلس الأمن والتى من واجبها الحفاظ على أمن الشعوب وبخاصة الأطفال والنساء، ولعل الشاعرة أرادت من مناشدتها لمجلس الأمن إظهار ضعفه حيال ما يجرى فى العراق، وعجزه عن إيقاف قصف المدن والدمار الذى يبطش بالكائن الحى والجماد. ولم يتحرک مجلس الأمن بقراره ولابشجبه

واستنكاره؛ ولذلک خاطبته الشاعرة متهكماً من صمته وعجزه (البع، ٢٠١١م: ١٠٣٥):

«وأعضاءُ مجلس الأمنِ غادروا الغرفَ الأنيقةَ الملطخة بالدم وجلسوا أمام القنوات الفضائيةِ يتابعون أخبار التنكيلِ بالعراق، وفى زمن الحوار كذلک، لا يَسألون .. لماذا.» (البستانى، ٢٠١٢م، ب: ٥٦)

٣-٤-٢. خيانة الأقرباء وغدر الأصدقاء

اتسم الإنسان العربى قبل الإسلام وبعده بالخلق الكريم وبالنبل والعفة رغم الحاجة والعوز وبالوفاء فسجل بذلک موقفاً أخلاقياً قيده الشعر العربى على مر العصور وأكدته قيم الإسلام ومبادئه بكل إباء واعتزاز، على أن هذا لا يلغى إمكانية وجود صفات سلبية كالغدر والخيانة، إلا أن المجتمع العربى حدد موقفه منها فأعلن رفضه لها مشهراً بمن يتصف بها لما تمثله من سلوک شائن، وقد عدوّها من المثالب التى تسبب تفككالمجتمع وتحلل القيم السائدة والمبادئ السامية (الأحبابى، ١٩٩٩م: ٦٠) والخيانة هى سبب حقيقى لانكسار الأمة، فهم الكذابون المنافقون والمتكالبون على السلطة وحامدوها فى الوقت نفسه، وهم الذين باعوا الأرض والدين للآخر، فما كان على الشاعرة ألا أن يفضحهم ويفضح مكائدهم بلغة شعرية اتسمت بالألم والقهر:

«أصعَدُ عبرَ الجذوعِ/ أرى ذِمَماً تُشترى/ وشعوباً تباع.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٣٢٥)

إن الذات الشاعرة هى أكثر الرائين للعالم فى حدثه الكونى وفى حدثه التأريخى، لذا تتخذ موقع الراصد وتصعد لتسند اشتغالات قوى المخيلة إلى عملية الترقب ولترسم رفضها عبر صور من صفحات الخيانة فى عصر الخراب الكبير، عصر لشراء الذمم وبيع الشعوب ولتعبر عن حركية معنى الضياع عبر عملية البيع فى سوق الخسارة التى حدثت فى الماضى وتحدث الآن. فى إستمرار هذه المناقشات تركّب الذات الشاعرة صوراً لغوية فيها تناص تاريخى وسخرية لاذعة لترسم الحاضر العربى المليء بالخيانه بسرد أحداث الماضى:

«وشريفُهم فى الليل،/ يضربُ كفَّهُ/ ماذا سنفعلُ دونما تَتَرٍ؟/ همو وعدوا سيأتونَ

العشـيَّة ../ والعلقميُّ إذا تأخَّرَ،/ من سنعطيه مفاتيحَ القضية.» (نفس المصدر، آ: ٣٢٧-٣٢٨)

إن السـخرية هنا من التخطيـط لفعل الخيانة تصل بالنص حد المـرارة اللاذعة إذ تضيف الشـاعرةرؤيتها من خيانة القائمين الحاليين المرموز إليهم بشـريفهم بالمفردات التاريخية لتبرز المسـكوت عنه بشـعرية مملوءة بالألم من الذيـن يملكون مفاتيح قضايا الأمة ولكنهم بدل الحفاظ عليها يسـلمونها هدية للأعـداء كما فعل ابن العلقمى وزير الخليفة العباسـى المسـتعصم، الذى رتب مع هولاكو بمعاونة نصير الدين الطوسـى قتل الخليفـة واحتلال بغداد، فهذه الصور ترسـم الرفض من العمالـة المتواطئة مع الأعداء لاغتيـال الأمة كما تجنح نحو الإفصاح لتكشـف جرائر الخونـة من حكام تآمروا على العراق ويتخذ النص من العلقمى قناعاً سلبيا لكل من يتآمر على الأمة العربية (هياس، ٢٠١٢م: ٢٦٨):

«بغـدادُ/ اللوعاتُ/ العـبراتُ/ الطعناتُ/ ظهرُكِ ينـزفُ/ مفتاحُكِ ثانيةً فى جيبِ الأمريكيِّ/ يخضّبه الدم/ ياويلى ../ عظامُ الأطفالِ وَقود.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ١٢٣)

التناص فى المقطع بين المرة الأولى التى أعطى فيها الوزير العلقمى مفتاح بغداد للتتر وهذه المرة الثانية التى يعطى فيها مفتاح بغداد ولكن للأمريكى والحالان يُجسدان خيانة وكارثة دموية جعلت البشر العراقى وقوداً لنار اندلعت ولن تخمد مع التركيز على حالة الغـدر (ظهرك ينزف ومفتاحك .. يخضبه بالدم) فالطعن فى الظهر لا يأتى إلا من جبان غادر يسفك الدماء ليصل إلى غايته.

٣-٤-٣. تعاطف الأحرار ومحبى السلام مع الشاعرة

ومقابل ذلك المعجم الثّرى والمشـحون من ألفاظ الدمار وتفريعاتها المختلفة، تبسط مسـاحة واسـعة للأمل وينتظر غدا جميلا ورؤيته قريبا؛ الأحرار ومحبى السـلام اتفقوا جميعـا على هذا، والثقـة المطلقة فى قرب ذلك الغد. (جيـدة، ١٩٨٦م: ٣٢) كما أكدت عليه كاترين، صديقة الشـاعرة، أن العراق اسـتطاع أن يطوى صفحة العزلة وأن تزول كل الأزمات، وأن تُرفَع كل الحصارات، لافتاً إلى أن العراق بهذه الثروة التاريخية الرائعة

والحضارية اكتسب القلوب،كما أثار حسد وشذوذ الآخرين الذين يعادون الحضارة، ويعادون الإنسان:

«أرسلت كاترين صديقتى البلجيكيةُ تقول:/ كونوا أقوياءَ بالجمال الذى تمتلكونَ،/ فالجمال كما يقول دستوفسكى سيحمى العالم،/ وليس بإمكان أية قنبلة أن تحطم قانون الجمال/ ألتفتُ ورائى/ فأرى الشمسَ تزحفُ على المدى/ وأبصرُهم يطاردونها .. مذعورين.» (البستانى، ٢٠١٢م، ب: ٦٤-٦٥)

٣-٥. العراق بين المقاومة والاستسلام الكامل

سقطت بغداد فى نيسان ٢٠٠٣م. دون القتال والإشتباكات الخطيرة، والسؤال الذى يطرح نفسه هو ما هى الأسباب الكامنة وراء هذا الانهيار السريع ولماذا لم يتمكن العراقيون خاصة فى بغداد من تنظيم مقاومة واسعة ومنظمة لمقاومة الاحتلال؟ يمكن أن نخلص أسباب الانهيار السريع على النحو الآتى:

١) أن دولة العراق ماتت فى الثمانين دون أن تبلغ مرحلة الشباب إذ أن المقابر الجماعية التى عثر عليها لا تعود إلى عصر هولاكو، بل لفترة تمتد أكثر قليلاً من عشرين عاماً وهى فترة تسلم صدام حسين للرئاسة عام ١٩٧٩م. أى أن طغيان صدام وجرائمه تراكمت على مدى ربع قرن فكانت أحد أسرار الهزيمة؛ (دون الاسم، ٢٠٠٣م: ١٥والخليل، ١٩٩١م: ٤٥-٢٧)

٢) إن الجيش العراقى الذى أنهكته حروب العقود الثلاثة الماضية لم يستطع تجديد أسلحته بسبب الحصار المفروض على العراق منذ عام ١٩٩١م.

٣) تفوق السلاح والتكنولوجيا العالية التى استخدمها قوات التحالف (سليمان، ٢٠٠٣م: ٧٨)

٤) يعزو بعض المراقبين سقوط بغداد إلى صفقة جرى فيها اتفاق سرى لتسليم بغداد دون قتال وهذه الصفقة جرت بين الأمريكيين وكبار قادة الحرس الجمهورى على تسليم بغداد دون مقاومة مقابل نقل كبار القادة فى الحرس الجمهورى (٢٠٠ شخص وعائلاتهم) إلى خارج العراق، وفى الوقت نفسه تساءل صدام حسين من بقايا جيشه

كيــف تصمد المدن الجنوبية ولا تصمد بغداد المحمية بفــرق الحرس الجمهورى. (فتحى، ٢٠٠٣م: ١٢)

ولكــن قصة الفلوجة، تختلف عن قصة بغداد؛ الفلوجــة مدينة عراقية صغيرة حوّلها المحتل الأمريكى إلى المقبرة عندما كان العراق فى الممتحنة بذلك الغزو الضروس الذى شارک فيها بلدان التحالف بسلاحهم، وطائراتهم ودباباتهم، وشارک فيه غيرهم بصمتهم وخذلانهم، وعدم نجدتهم لإخوانهم فى العراق:

«ســواعد الفلوجة الفرعاء/ تمتد كى تضم قامة العــراقِ/ نخلَه ../ دماءه ../ وماءه/ الفلوجــة التاجُ/ الضياءُ/ الماءُ/ الفلوجةُ العراق/ يعدو على مدارج الجراحِ/ والفلوجةُ الظــلالُ/ والحديقة الرفات/ تســرى بحزنٍ خافــتٍ/ بغصَّةٍ مخنوقةٍ/ وصحوة شــائكةٍ/ والطائرات تجيءُ، تذهــبُ/ تنثر النيران والفقدانَ/ صيادون يصطادون أروقة الجنوب/ سقطت متاريس الحروب/ وغزالة قالت لماذا هدّموا بيتى/ اضاميمٌ تبعثرها (الأباجى)/ والنيل يغرق فى دم الفلوجة المسفوحِ.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٣٠٠-٣٠٤)

إنها مدينة أبت إلا أن تشــغل صفحات الماضى بسجل ثقيل من الدماء والتضحيات والمواقف المشــرفة. وهكذا تميزت الفلوجة بعزة وإباء لأنها لم تقبل الذل ولم ترضى بأن يــدوس أرضهــا أهل المذلة؛ هى المدينة أبت بكل ما تملک من قوة الاستســلام للقوات الأمريكية المعتدية بعد أن إجتاحت أراضى العراق بترســانتها العسكرية المتضخمة، ولم تتمكــن إلا من التورط فى موجات الدم بعد ســير الدبابات على جثث أبنائها الذين لم يسلموها إلا بثمن أرواحهم.

٤. العراق بعد الإحتلال وكشف الأستار عن الأهداف الأمريكية لإثارة الحرب

٤-١. العراق المحتل حَلبَة الإرهاب الدولى وإرهاب المجموعات

أن أمريــكا زعيم الإرهاب الدولى وهو يعنى قيام الــدول العظمى وأذنابهم الغاشمة بالعدوان على الشــعوب الصغيرة أو البلدان النامية المســتقلة بالذات التى تناضل من أجل التحرر والحصول على حقها المشروع فى تقرير المصير والاستقلال بهدف إرهابهم ومحاولة السيطرة عليهم، والهيمنة على مقدراتهم، بكافة الأساليب العنصرية والسياسات

العدوانية، وإستخدام القوة من قبل هذه الدول، والاحتلال الأجنبى، وانتهاك السيادة، والتدخل فى الشؤون الداخلية، وممارسة مختلف أعمال القمع والعنف والحصار والخنق ضدها. (المعينى والأعظمى، ٢٠١١م: ٣٢) وإرهاب المجموعات مثل الدواعش هو من نتائج الإرهاب الدولى. هذا الصنف قد يتخذ صورة مجموعة سياسية منحرفة، أو ميليشيات، تعود لأحزاب ذات برامج وأهداف ضيقة عرقية، أو طائفية، أو مذهبية تنفذ أعمالاً إجرامية ضد الأبرياء بغية إرهابهم والسيطرة عليهم وتوجيه ميولهم باتجاه معين يخدم توجهات ومصالح هذه الأحزاب والحركات. (نفس المصدر: ٣٣)

كما نوقش سابقا، قامت الولايات المتحدة وقوات التحالف مثل البريطانية والأسترالية وباقى الدول المتحالفة مع أمريكا حسب تعريف مجلس الأمن بعمليات عسكرية ضد العراق، بدعوى تحرير العراق من المنظمات الإرهابية، خاصة تنظيم القاعدة (تشومسكى، ٢٠٠٣م: ١٦)، لكن رأينا أن الإرهاب قام من سرير هذا الحرب كماتتأكد البستانى إن العراق ليس البلد الذى يصدر الإرهاب لأحد بل هو ضحية الإرهاب أمريكياً وصهيونياً وداعشياً، مشددتا على أن الإرهاب استهدف أهل العراق عرباً وأكراداً وتركماناً، سُنّة وشيعة، مُسلِمين وغير مُسلِمين:

«كلُّ شيء يذوى والأرضُ حقيبةُ نارٍ/ يحملها إرهابىّ شرسٌ/ ووطنى تفاحةٌ غارقةٌ بالظلام.» (البستانى، ٢٠١٢م، ب: ٥٩-٦٠)

و«بيتى .. بيتى يبكى فى الليل/ تعبا، يقظا، فزِعا ../ بيتى يدرأ أمريكياً فى الصبحِ/ وصهيونياً عند الظهر/ وإرهابياً ملغوماً بالويل/ بيتى ينهضُ فى عز الليل/ يفتحُ عينيهِ،/ ويحبو وسط السيل.» (نفس المصدر، آ: ٢٣٦)

شكل المكان بؤرة مهمة فى النص السابق إذ أسقطت الذات الشاعرة مشاعر القلق والتَّعَبِ والأرق والخوف على عناصره المتمثلة بالبيت، ولاشك أن البيت هنا هو رمز للوطن الكبير المحارَب، فالمكان (البيت) هنا فعل وفاعل فعلى ينفتح وينمو وله خصائص إنسانية (باشلار، ١٩٨٠م: ٢٢٦) أما القوى المحاربة فتمثل الظلم فى كل زمان فالوطن يكره انعدام الأمن، وقد يجسد ذلك الانزعاج من خلال الأفعال (يبكى ويدرأ وينهض ويحبو) التى توحى بالفزع والاضطراب والخروج من السكينة إلى الهلع.

٤-٢. مؤامرة تقسيم العراق إلى دويلات عرقية ومذهبية

قيام أمريكا بإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط كان واحدا من أهدافها المستورة لغزو العراق لكى تتلاءم الخريطة مع مصالحها الخاصة التى تكون فيها إسرائيل حجر الزاوية. (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٢٧) لهذا السبب، عندما دخل الجيش الأمريكى إلى العراق لم يعد أحد فى الإدارة الأمريكية أو فى القيادة العسكرية يتكلم عن شىء اسمه الشعب العراقى، فقد بدأوا يتكلمون عن شيعة وسنَّة، وعرب وأكراد وتركمان وإلخ، وقاموا بتشجيع العملية الطائفية فى العراق، كما قاموا بتشكيل مجلس الحكم المؤقت على أساس تقسيم طائفى وعنصرى، واستمرت العملية السياسية كلها على هذا الأساس. (حسيب، ٢٠٠٦م: ٤) أما جميع الخرائطقد فشلت فى ضوء المقاومة العراقية حتى الآن، كما نشدت الشاعرة فى قصيدتها "فواصل فى ظل التحرير الأمريكى" خريطة تقسيم بين النهرين فى يد الرياح وأمريكا تعجز عن إدراكقدرة المقاومة العراقية وفعاليتها وتنوع أساليبها القتالية مقابل جبروت الاحتلال المدعم بأعتى قوة إرهابية فى العالم مستندة إلى تكنولوجيا عالية الدقة فى التجسس والقتل والتدمير والتسهيلات اللوجستية والإستخبارية المقدمة:

«استيقظ يا وطنى/ طال الإغماءُ/ فنبضک تحتَ السماعة كان سليم/ أسمعُه/ نبضک يومئ عن قلب سوف يفاجئهم/ ينهضُ، يفتحُ شباک الأفق/ ويعطى الموجَ إشارته/ فتدوخُ الرادارات/ يتساقط سربُ الطيارات/ و تذرو الريحُ خرائط تقسيم النهرين.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٢٣٧)

٤-٢-١. أهم العلامات لمؤامرة تقسيم العراق

أولا:حل الحكومة المركزية العراقية من قبل الإحتلال الأمريكى لم يک فقط نتيجة نصائح متأخرة من الطرف الصهيونى والكردى، بل هو كان فى صلب تحقيق أهداف العدوان العسكرى على العراق وتقسيمه وفق نظام التقسيم الطائفى والعرقى والمذهبى بإقرار قانون الفيدرالية الذى يحقق انفصالا للجنوب، وبإعلان قيام الإمارة الإسلامية فى منطقة الوسط، وحيث الإقليم الكردى بات منفصلا فعليا أو مستقلا. (رميح، ١٤٢٧ه:

٢٠) وتشير البستانى فى "الحب ٢٠٠٣ رواية شعرية" إلى لمسات أخرى فمنها أن العودة إلــى الإجراءات والقــرارت التى اتخذها الإدارة الأمريكية لاحتــلال العراق من حل أجهزة الدولة العراقية من جيش وشرطة وأمن ووزارت – اعتبر أنه إطلاق شرارة البدء بتنفيذ التقسيم دون مواجهة من قوة عراقية تحافظ على وحدة الدولة – وإطلاق موظفى الحكومة والعسكريين هائما وعطلة، لم تك أخطاء من الذين أصدروها بل هذه العملية قد تم تصميمه قبل أن أشعل نيران الحرب:

«كلُّ شــىء يتهاوى:/ لا جيشَ، لا شــرطةَ، لا أمنَ، ولا مؤسســات/ اســتراتيجية الاحتلال حلت الجيشَ والشــرطةَ والأمنَ ومحت/ النظم/ استراتيجية الاحتلال فكّكت وجــود الدولةِ/ حطّمت أعمدتها/ ملايينُ الرجال فى الشــوارع معطلون/ لا رواتبَ، لا تقاعدَ، لا ضمان/ كلُّ شىءٍ يتهاوى.» (البستانى، ٢٠١٢م، ب: ٧١)

ثانيا:تدمير آثار العراق التاريخية ونهب متاحفها ســيؤدى إلى تدمير الإرث الثقافى للعــراق ومن ثمّ إلى تحلل شــعبه إلــى الجماعات والطوائــف العرقيــة والمذهبية. إن الحضارات لها أبعاد عديدة بضمنها اللغة وأشكال التعبير الأخرى والتواريخ والأماكن المقدســة والأثريــة وأشــياء أخرى. هناك وعــى يتنامى فى كل أنحاء العــالم ينظر إلى الحضارات القديمة غير الغربية بنظرة تختلف عن النظرة إلى مواضيع أثرية جميلة موجودة للفرجة وليس للمعايشــة لــذا يمكننا القول أن تدمير آثار ســومر وبابل فى العراق كان محاولة للســيطرة الغزاة على العراقيين بتدمير هويتهم الأصلية (غالتونج، ٢٠٠٧م: ١٦) واليونســكو فى زمن الحرب كان مجرد البكاء وعاجزاً عــن إيقاف العدوان على تراث العراق الإنســانى من الضياع: «هل رأى حمورابى ما فعلته الدباباتُ الأمريكية بأسوار بابل؟ ثار العالم ثورة دونكيشوتية على عشرات الآلاف من القطع الأثرية النفيسةِ التى سُــرقت من متاحف العراق، وناشد المختصون منظمةَ اليونســكو ومراكزَ حماية الآثار الحضاريــة، لكن الدبابات الأمريكية ظلت تخرّب أســوارَ بابل ..، وظلت تهدمُ شــرفَ قصورها المفتوحةِ على الأفق، وظلت الحريــة والديمقراطية الأمريكيةُ وقوانينُ انتهاك حقوق الإنسان سارية المفعول.» (البستانى، ٢٠١٢م، ب: ٢٢)

وبالإضافــة إلى ذلك، فى أعقاب احتلال العراق نُهبت المتاحف التاريخية الأثرية فى

بغـداد وموصل، كما نُهبت جامعة الموصل وجامعة البصرة وغير ذلكمن المراكز الثقافية والعلمية العراقية وسُرقتمنها قطع ولوحات ووثائق ومخطوطات نادرة ومن المؤسف لقد كان المتحف القومى فى بغداد ضحية هجوم مخطط بعناية فاللصوص الذين أخذوا معظم الآثار القيمة جاؤوا مسـتعدين بتجهيزات لرفع أثقل الأشـياء لأن الأمريكيين يعرفون قيمة المتحاف وقيمة الجامعات وقيمة مكتباتها (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٣٧-١٣٨):

«ألواحُ متاحفِ بغدادَ بكفِّ الريح/ والثورُ الآشـوريُّ الباسـمُ مرتعبٌ.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ١٢٢)

و«رفوفُ المكتبات تنزفُ دموعاً من نار/أشـباحٌ همجيـةٌ تجتاحُ الجامعات/ أبوابُ المكتبـات مفتوحةٌ علـى مصاريعها/ أبـوابُ المخطوطاتِ/ حدائـقُ التاريخِ/ رياضُ الحضارة/ سـواعدُ الجان تتلقفُ كلّ شـيء/ وترميه فى الشـاحناتِ الملطخةِ بالوحول والدم/ وهى تحرقه إن لم تستطع حملَه.» (نفس المصدر، ب: ٦٦-٦٧)

يسـتدعى سـقوط بغداد الثانى فى يد المحتلين الأمركيين عـام ٢٠٠٣م. من الذاكرة، اسـترجاع سقوط بغداد الأول على يد جيش المغول عام ١٢٥٨م. بقيادة هولاكو الذى دمر بغداد ومكتبتها بيت الحكمة وتشير هذه الحملة المنظمة كما قلت من قبل إلى نيات خطيرة لدى قوات الإحتلال، تتمثل بتدمير الهوية الثقافية لبلد له تاريخ حضارى يزيد على خمسة آلاف عام، فالعراق قدم للعالم الكتابة السومرية قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام:

«مـن بابل تتصاعدُ الألواحُ/ نحو القيامةِ الموتِ المجيد ../ من بابلٍ ترقى الحجارةُ/ نحو تاج الأفق/ عبرَ السـواعدِ النخلِ العتيد ../ من بابلٍ بدأ الخليلُ،/ وخطَّ فى سِـفرِ الحقائقِ:/ فاعلُن، متفاعلن/ ورَمى الرّقائقَ،/ والحرائقَ/ والرُّقى./ فليبدأ العزفُ العظيم./ هذا الضلالُ نشيدُنا نحو الهدى/ هذا الضلالُ المستحيل.» (نفس المصدر، آ: ٣٦٩-٣٧٠)

فالشـاعرة هنا تؤكد على رمزية التواصل والخلود من جهة وعلى حوارية إنسـان هذه الأرض مع السـماء باستلام الرسـالة وتبليغها من خلال تصاعد الألواح التى هى رمز للرسـالة من جهة أخرى ولفعل الكتابة ثالثة التى اكتشفها العراقيون، هذا السلاح الذى يقـف حائلاً بوجه الأعداء دون الفناء والانكفاء، وهنا نجد أنفسـنا أمام تداخل نصى من وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن خلال مفردة الألواح بقوله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَـيْءٍ مَوْعِظَـةً وَتَفْصِيلًا﴾ (الأعراف: ١٤٥) وكذلك حضوركُلِّ شَـيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَـيْءٍ، عملية المفارقة الحاصلة فى قيامة الموت المجيـد فكيف يكون الموت مجيداً وهو موت؟ فثمة فارق نوعى بين الموت العادى وبين الموت المجيد هذا الموت الذى يسمو إلى أعلى مقامات الانبعاث الحضارى. وإذا تحضر شـخصيات مثل شـخصية الخليل بن احمد الفراهيدى واضع علـم العروض رمزاً لكل العلوم والمعارف الأخرى وخط فى سـفر الحقائق: فاعلن متفاعلن، إذ إن لهذا التداخل فى الإيقاع أثره فى التعبير عن قضايا دلالية وجمالية من خلال حضور تفعيلة فاعلن التى تعنى الفاعل فى الحضارة الإنسانية المؤثر فيها، أما حضور تفعيلة متفاعلن فتعنى أن هذا الفاعل غير منغلق بل منتفتح فى حوار دائم مع الإنسان والحضارات الأخرى وذلك من خلال الفعل الماضى رمى الذى يدل على تحقق الفعل فى حركته وعدم جموده من خلال تكرار اسم الإشـارة (هذا) لتعيد تكرار (من بابل) مرة أخرى تأكيداً لإصرار الشاعرة على بث أشعاع حضارتها العريقة. (هياس، ٢٠١٢م: ٣١٤-٣١٥)

٤-٣. السيطرة على مقدرات العراق النفطية والمعدنية

تشـير البحوث إليأن حرب الخليج الثالثة مرتبطة بحاجة الولايات المتحدة لضمان السـيطرة على إمدادات النفط فى منطقة ممتدة من وسـط آسـيا وحتى البحر المتوسط (الصحارى، ٢٠٠٢م: ١٦) للتأثير فى شرايين الإقتصاد العالمى، ومنها الاقتصاد الأروبى والصيـنى واليابانى (راتنر، ٢٠٠٣م: ٩) لأن العـراق يملك أكبر مخزون احتياطى للنفط بعد السـعودية، كما يتيح لها نفوذ فى الأوبيک (OPEC) والتحكم بأسـعار النفط (أحمد، ٢٠٠٤م: ١٢٧). تقول الشاعرة فى رواية شعرية "الحب ٢٠٠٣":

«خـذى يا سماءَ الجريمةِ ما تبقى/ خذيه/ افتحـى أفواهَهم وصبّى فيها أطنانَ النفطِ والكبريـت والزئبق/ والذهب/ وصهاريجَ العذابِ الـذى لن ينطفئ أبداً/ فقد أخطأت السـماءُ إذ وضعت كلَّ هذه الكنوزِ فى أرض/ العراق/ أخطأت/ وهم بشـهامة المروءة الأمريكية يصححونَ الأخطاء.» (البستانى، ٢٠١٢م، ب: ٦٨)

هذا صوت الأنوثة الغاضب فى زمن الحرب الذى لا يجد ملجأ سوى مناجاة السماء

الشـــاهدة على جرائم المستعمر الغاصب، حينما يبدأ عن غضبه ولعنة الغزاة التى لم تنته بعد ويصرح بأن النفط فى العراق يجب أن تأخذه أمريكا فهو ليس نفط العراقيين وليست ثروات العراق المعدنية للعراقيين، بدلاً من أن تتحمل أمريكا المســؤولية الأخلاقية عما نتج عن حربها على العراق وتدميرها للبنى التحتية والفوقية وما ألحق به خسائر بشرية ومــادى فادحــة وبدلاً من تحمّل هذه المســؤولية وتقديم العــون للعراقيين كى يتجاوزا مساوئ ما قامت به.

٤-٤. الدعوة إلى المقاومة

ولما لم تجد الشــاعرة أىّ صدىً لأصواتها ولا اســتجابة لندائهــا لدى زعماء العالم وقادته ودعاة الإنســانية، وما يســمى بالمحافل الأممية والدولية؛ أيقنــت حقيقة العداء للعراق ونوايا المهاجمين لتقســيمه ولحقول نفطه، لذلک أخذت تستنهض الشباب لنجدة العــراق الذى أهلكه الحصــار والعداوة والخيانة بمنظومة وطنيــة عمادها حب الوطن، وعزة النفس، وعشق الشهادة، والاستعداد المطلق للتضحية:

«وأكتبُ فوقَ صخورِ العراقِ:/ أحبکَ ../ أكتبُ لا أشترى غيرَ هذا العذاب.» (نفس المصدر، آ: ١٣٧)

و«هــا أنا أكتبُ على الصخرِ/ أحبک/ كى تتعلــمَ الأجيالُ حواريّة الحرية/ فأنا لا أحبُّ بطولةَ الاستحواذِ/ بل أُحبُّ بطولةَ استشهادى/ حضوراً، وفعلاً وحضارةً.» (نفس المصدر، ب: ١٦٧)

إن هذا التحالف الرومانســى بين الشاعرة ووطنها المحتل واستعداد وإصرار الشعب للمقاومة والشهادة، وضع مخططات الاحتلال أمام مأزق حقيقى دفعها إلى التراجع مرة إثر أخرى:

«خذنى .. خذنى ../ يا وطناً ينزفُ فىّ وأنزف فيه.» (نفس المصدر، آ: ٢٣٥)

فماذا ينزف الوطن وتنزف الشــاعرة؟ إنهمــا ينزفان محنتهما كما جاءت، والمحنة ما يمتحن به الإنســان من بلية، وأصل المحن الضرب بالسوط، كما محنت البئر إذا أخرجت ترابها وطينها، ومحنت الفضة إذا صفّيتها وخلصتها بالنار، وامتحنتَ الذهب والفضة إذا

أذبتهمـا لتختبرهما حتى خلصتَ الذهـب والفضة (ابن منظور، ١٩٧٠م : ٤٤٨) إن هذه الدلالات تؤكد عذاب الأرض وابتلاءَها واختبارها:

«حجراً،/ حجراً،/ تنزفُ الأرضُ محنتَها.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٣٤٠)

وهى معادل موضوعى للبستانى والوطن المحاصر، كما أن الأرض تتجاوز هذه المحنة على الرغم من الأذى الذى يلحق بها، إذ إنها تنزف حجارة ستكون وسيلة من وسائل مقاومتها للعداون، وهنا تفرش الشـاعرة رؤيتها البانورامية لكى تضع فلسطين والأداة الـتى يقاوم بها الفلسـطينى كلها فى مـدى النظر.إن ذكر الحجر هنا يعـد فعالية تناصية خدمت الرؤيا الشـعرية ودلّت على مقاومة المحتل، إنها الحجر نفسه الذى تمنى الشاعر الجاهلى قبل أكثر من ألف وأربعمئة سنة أن يكون مثله فى الصلابة والخلود: «ما أطيب العيش لو أنّ الفتى حجر.» (ابن مقبل، ١٩٦٢م: ٢٧٣)

ويعلو صوت الذات الشـاعرة المملوء يقيناً بالنصـر فى لحظة غضب وغيظ:«غارقٌ بدمـى/ ذابـلٌ بالألم ../ ألقموه لهيباً/ وشـدوا على ظهره/ جبلاً من ندم..» (البسـتانى، ٢٠١٢م، آ: ٢٢٥)

والبستانى تكرر الحديث عن النصر من خلال التغنى بأمجاد العراق الحضارية، حينما هرب الماء من العدوان من أجل البقاء وهو رمز الحياة وأصل كل الكائنات: «ماءُ دجلةَ يهربُ من بابِ بيتى،/ ليسكنَ فى سفعةٍ.» (نفس المصدر، آ: ٣٤٢)

فهو يرفض التبدد والجريان ويتحول إلى أسفار ويقيم فى سعفة ليعاود كتابة التاريخ، إن إسـتخدام السعفة هنا لم يأتِ اعتباطاً، بل جاء توظيفاً شعرياً للتراث، فالسعفة أداة من أدوات الكتابة عند العرب ولا سيما عند العراقيين منذ عصور ما قبل الميلاد (الأسد، ١٩٦٩م: ٨٢-٨٣) ألم يكن العراق من المستكشفين الأوائل للكتابة فى التاريخ الإنسانى والعالمى؟ إن الماء سـيمنح الحياة للسـعفة ويتواصل الخصب وتستمر الحضارة، أليست الكتابة رمزاً للخلود والبقاء والإستمرار؟ (هياس، ٢٠١٢م: ٤٢)

أمـا الماء المحدد بماء دجلـة ودجلة يعنى العراق، رمز كل مـا هو حى، فقد ذعر هو الآخر من الموت وأسـرع فى الفرار من باب بيتها ليسـتقرّ فى سعفة، ففى الباب يتعادل البعد النفسى بالبعد الواقعى وتستظل الشاعرة بذاتها (النصير، ١٩٩٥م: ١٩٣) فهو أداة

الدخول إلى البيت والخروج منه، وهو وسيلة مهمة من وسائل الحفاظ عليها وعلى أهلها فى حالة انغلاقه، وقد تكون النجاة حينما يكون مفتوحاً. إن النص لم يحدد هل كان الباب مفتوحاً أو مغلقاً؟ إلا أن هروب الماء يعنى إنه كان مهدداً بالموت فى حالتى الانفتاح والانغلاق لذلكاختار مكاناً آخر يحافظ فيه على حياته، وفى محاولات النجاة هذه وصلت الثعابين، وهى رمز لطائرات الأعداء التى تجلب الموت (هياس، ٢٠١٢م: ٣٤):

«وتدورُ الثعابينُ حول بساتينِهِ/ آهِ .. تسعى الثعابينُ/ فى روضِ روحى.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٣٤٢-٣٤٣)

فالأفعال المضارعة (تدور، تسعى) توحى بملازمة هذه الطائرات المستمرة لهذه الأماكن فى الحاضر والمستقبل المنظور ونجد لهذه الصورة مرجعيتها فى أسطورة أورفيوس الذى هزم الموت بموسيقاه الخالدة إلا أن الموت تمكن منها حينما تمثل لحبيبته وزوجته يوريديس فى صورة أفعى لدغتها فماتت (شاهين، ٢٠١٥م: ١٢٦) وفضلاً عن أن الأفعى ترمز إلى روح الشر والغواية والمعرفة بالأعمال الشيطانية (المساوى، ١٩٩٤م: ٤٠٢) أن النص على يقين بعدالة القضية لذلك تعلن الشاعرة رفضها لتطفلهم المتواصل إذ تقول:

«وأصرخُ فى حومةِ الليل،/ أصرخُ. لا./ لن يمرّوا./ تكسَّرَ شباكُ بيتىَ،/ لكنّهم ذُعروا من يقينى.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٣٤٣)

ذلك اليقين المتمثل فى إرادة خلاقة قادرة على المواجهة والتجاوز لأنها ترتكز على منجز حضارى وإنسانى يمتلك جذوره فى أعماق الزمن ولذلك فإن روح التفاؤل تومض فى أشد حالات الحرب قسوة وضراوة:«تكسَّرَ شباكُ بيتىَ،/ لكنّ وردَ عيونى/ تناثر فوق الرياحِ التى عصفت بالغصونِ.» (نفس المصدر، آ: ٣٤٣)

فالورد هنا معادل للحب وفضيلة الروح و الكمال المعنوى والانسجام والشباب (شواليه وگرابران، ١٣٨٥ش: ٧٣٧و٧٤٣) مقابل الرياح التى كانت رمز لعدم الاستقرار وتقلب وعامل للخراب والتدمير (نفس المصدر، ١٣٨٨ ش: ٦)، وهنا نجد تحولات النص من الأنا إلى النحن، ومن الخاص إلى العام، حينما تقول أن البقاء لأصحاب هذه الأرض، أرض المحنة، على الرغم من همجية العدوان:

«يبقى العراق هويةً و هديةً/ يبقى الفرات/ طريقهم للموتِ.» (البستانى، ٢٠١٢م، آ: ٣٠٤).

والمحتلون لا قضية لهم إلا العدوان، لذا تطالب بإدانتهم وحسابهم: «انتصروا أيها الوارثون،/ قِفوهم/ فهم مُحضرون ..» (نفس المصدر، آ: ٣٤٠).إن النص يتناص مع آيات قرآنية كريمة أذكر منها: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥) ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (الروم: ١٦)

إن (محضرون) حملت دلالات الحساب والعذاب والتهديد، وكذلک (قفوهم)، أما (الوارثون) فحملت دلالات النصر والجزاء بالإحسان بعد معاناة محن الحرب، فضلاً عن أن كل هذه الآيات الكريمة تجتمع مع نظيرها، وتتراكم دلالاتها وتترسب فى ذهنية الذات الشاعرة فتنتج دلالة شعرية فى تركيب يتواصل تواصلاً حميماً مع الموروث الدينى ليؤكد وجود طرفين، الأول، صاحب قضية صادقة يدين العدوان، والثانى، صاحب قضية خاسرة مهما طال به الزمن لان القتل أداته.

٥. النتيجة

فى العقدين الأخيرين فقد عبَّرت الشاعرة عن الهمِّ الجماعى، أى هموم الوطن والأُمّة. فالشاعرة لم ترَ حولها إلا النكسات المتعاقبة تُوّجت بسقوط بغداد وبداية الإحتلال غنيمة باردة بأيدى الإستكبار. الأديبة لم تشاهد خلال القرنين العشرين والحادى والعشرين سوى غارات متتالية على بلادهامن حرب الخليج الأولى والثانية والثالثة تحت عنوان الصراع مع إيران، وتحرير الكويت،وشراكة صدام مع تنظيم القاعدة للتفجيرات الإرهابية ضد أمريكا، وهى فى تلک الأثناء مُكَمَّمة الفم ومكتوفة اليدين أمام ما فعله صدام حسين. فأينما تقع عيناها ترى أسرتها العراقية (شعب العراق) صغيرة وكبيرة تنتهک حرماتها وتنهمر دماءها من كل حدبٍ وصوبٍ، وتسلب ثرواتها وتحلّ ببلادها الفوضى والخراب. فى هذه اللحظة، تثور عاطفتها وتتحول أشعارها إلى مسدسات حشوة تطلق النار على العدو دفاعا عن الشعب.

شـعر البسـتانى أسـئلة .. وإنلم تكن هذه الأسـئلة موضحة بعلامات الاستفهام أو أدوات الاسـتفهام، ولكن من أهم قضايا شـعرها المعادى لأمريكا هو صنع السؤال أو التحريض عليها لتكريس حالة الإدهاش عند الإنسـان العراقى والآخرين من أحرار العالم إزاء انطلاق الحرب الوحشـية فى العراق ومجهولياتها وأسرارها، فالشاعرةتبحث عن مسـبباتها المختفية والمكتشـفة فى ضبابية التعليقات وتحلـل عواقبها الوخيمة عند العراق والأبرياء فى العراق. تنقسـم هذه العواقب فى ظل كلمات البستانى إلى قسمين أساسـيين: ١) مؤامرة تقسـيم العراق إلـى دويلات عرقية ودينيـة؛ و٢) رغبةالغزاة فى السـيادة على ثروات العراق النفطية والمعدنية وهذان الاثنان قد حققا على العراق فى ضوء نهب وتدمير الميراث الحضارى المشـترک بين أقوام بين النهرين الكردية والعربية والتركمانية والآشورية والآرامية والسومرية وكذلک إسقاط الحكومة المركزية العراقية – إلا أنها لم تحقق كاملة حتى اليوم – ولكن كل هذا لم يكن ممكناً إلا إذا اتهمت أمريكا العراق بدعم القاعدة فى هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. ضد نيويورک وواشنطن.

وهكـذا قامت الحرب المفروضـة فى صمت الأنظمة الدولية والعربية على الشـرق الأوسـط وإن العراقيين هم الذين تحملوا العبء الأكبر والرئيسى فى ساحة قتال العدو ومواجهة الجهد العسـكرى للاحتلال من خلال الاحتكاک المباشر به حتى اليوم. وهذه الأحداث كلها ترسـبت فى الشعر العراقى الجديد لأن الشعر أكثر الأنواع الأدبية قدرة علـى امتصاص رحيق الكارثـة ومقاومتها من خلال التغنى بأمجـاد العراق الحضارية وميراثه الإسـلامى، أولاً لتفتح أعين الشـعب على مجدهم التليد، وثانياً لتنشـيط قدرة العراق على دحر المغتصبين.

الهوامش

١) الشـاعرة الأسـتاذة الدكتورة بشرى البسـتانى، أسـتاذة الأدب والنقد فى كلية الآداب/ جامعـة الموصل. ولدت فى مدينة الموصـل/ العراق، وأنهت تعليمها الابتدائى والثانـوى فيها. تخرجـت فى البكالوريوس مـن جامعة بغداد بدرجة الشـرف. ونالت شهادتى الماجستير والدكتوراه من كلية الآداب/ جامعة الموصل (البستانى، ٢٠١٢م، آ:

٦٤٥). دواوينها: ١. ما بعد الحزن، دار النهضة، بيروت/ ١٩٧٣م؛ ٢. الأغنية والسكين، وزارة الثقافة، بغداد/ ١٩٧٦م؛ ٣. أنا والأسوار، جامعة الموصل/ ١٩٧٨م؛ ٤. زهر الحدائق، وزارة الثقافة، بغداد/ ١٩٨٤م؛ ٥. أقبّل كف العراق، وزارة الثقافة، بغداد/ ١٩٨٨م؛ ٦. البحر يصطاد الضفاف، وزارة الثقافة، بغداد/ ٢٠٠٠م؛ ٧. ما تركته الريح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق/ ٢٠٠١م؛ ٨. مكابدات الشجر، وزارة الثقافة، بغداد/ ٢٠٠٢م؛ ٩. أندلسيات لجروح العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ ٢٠١٠م؛ ١٠. مخاطبات حواء، دار شمس، القاهية/ ٢٠١٠م؛ ١١. مواجع باء/ عين، دار مجدلاوى، عمان/ ٢٠١١م؛ ١٢. كتاب الوجد، دار فضاءات، عمان/ ٢٠١١م؛ ١٣. هواتف الليل/ مجموعة قصصية، دار دجلة، عمان/ ٢٠١٢م؛ ١٤. الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ ٢٠١٢م؛ ١٥. خماسية المحنة/ مجلد لخمس مجموعات من النص المفتوح وقصائد النثر، دار فضاءات، عمان/ ٢٠١٢م.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب

القرآن الكريم.

ابن مقبل. (١٩٦٢م). ديوان إبن مقبل. تحقيق د. عزت حسن. الطبعة الأولى. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومى.

ابن منظور. (١٩٧٠م). لسان العرب المحيط. ج٣. إعداد وتصنيف يوسف خياط. بيروت: لسان العرب.

الأحبابى، عارف عبد الله. (١٩٩٩م). الرفض فى الشعر العربى قبل الإسلام. أطروحة الماجستير تقدم إلى كلية التربية للبنات. إشراف توفيق إبراهيم الجبورى. عراق: جامعة تكريت.

الأسد، ناصر الدين. (١٩٦٩م). مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية. الطبعة الرابعة. مصر: مكتبة الدراسات الأدبية (١)، المعارف.

الإمارة، على. (٢٠١١م). ترسبات الحرب فى الشعر العراقى الجديد وقراءات أخرى. الإخراج الفنى: سنديا عثمان ووفاء الساطى. الطبعة الأولى. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

باشلار، جاستون. (١٩٨٠م). جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. الطبعة الأولى. بغداد: سلسلة كتاب الأقلام.

البستانی، بشری. (۲۰۱۲م). الأعمال الشعرية، بشری البستانی. الطبعة الأولی. بيروت: العربية للدراسات والنشر. (آ)
البستانی، بشری. (۲۰۱۲م). حُماسية المِحنَة. الطبعة الأولی. عمان: فضاءات. (ب)
تشومسکی، نعوم. (۲۰۰۳م). الحرب الأمريكية علی العراق. ترجمة ناصر ونوس. الطبعة الأولی. دمشق: الفكر.
ثانيا: الأطروحات والرسائل الجامعية
جيدة، عبدالحميد. (۱۹۸٦م). الاتجاهات الجديدة فی الشعر العربی المعاصر. الطبعة الأولی. لبنان، طرابلس: دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع.
الخليل، سمير. (۱۹۹۱م). جمهورية الخوف: عراق صدام. الطبعة الأولی. القاهرة: الثقافة الجديدة.
راتنر، ميشيل. (۲۰۰۳م). ضد الحرب علی العراق. ترجمة إبراهيم الشهابی. الطبعة الأولی. دمشق: الفكر.
شاهين، ياسمين عبد القادر يوسف. (۲۰۱۵م). تجليات الأسطورة فی رواية المرأة الفلسطينية فی القرن الواحد والعشرين. أطروحة الماجستير فی اللغة العربية وآدابها. كلية الدراسات العليا. إشراف نادر قاسم. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية فی نابلس.
شوالية، ژان وآلن گرابران. (۱۳۸۵ش). فرهنگ نمادها. ترجمة سودابة فضايلی. ج٤. ط۱. تهران: جيحون.
_____. (۱۳۸۸ش). فرهنگ نمادها. ترجمة سودابة فضايلی. ج۲. ط۳. تهران: جيحون.
صارم، سمير. (۲۰۰۳م). إنه النفط أو (...) الأبعاد النفطية فی الحرب الأمريكية علی العراق. الطبعة الأولی. دمشق: دار الفكر.
الصحاری، إبراهيم. (۲۰۰۲م). العراق حرب أخری من أجل النفط والهيمنة. الطبعة الأولی. مصر: الدراسات الاشتراكية.
مجموعة الباحثين. (۱۹۹۵م). الغزو العراقی للكويت. عدد خاص رقم ۱۹۵. الطبعة الأولی. الكويت: المعرفة.
المساوی، عبد السلام. (۱۹۹٤م). البنيات الدالة فی شعر أمل دنقل (دراسة). الطبعة الأولی. دمشق: إتحاد الكتاب العرب.
المعينی، خالد وقصی الأعظمی. (۲۰۱۱م). حلقة بحث استراتيجية المقاومة العراقية. مراجعة وتدقيق صائب القهوجی. الطبعة الأولی. دمشق: الدراسات العسكرية.
النصير، ياسين. (۱۹۹۵م). جماليات المكان فی شعر السياب. الطبعة الأولی. سوريا وبيروت:

المدى للطباعة والنشر والتوزيع.
هياس، خليل شكرى. (٢٠١٢م). ينابيع النص وجماليات التشكيل - قراءات فى شعر بشرى البستانى -. الطبعة الأولى. عمان: دجله.

ثانياً: المقالات

أبوعرقوب، ابراهيم احمد. (٢٠١٤م). «حرب المعلومات الأمريكية على العراق فى حرب عام ٢٠٠٣». دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية. ج ٤١. العدد ٢. صص٤٦١-٤٤٦.
أحمد، محمد. (٢٠٠٤م). «الغزو الأمريكى - البريطانى للعراق عام ٢٠٠٣م. بحث فى الأسباب والنتائج». مجلة جامعة دمشق. المجلد ٢٠. العدد ٤+٣. صص١٤٣-١١٥.
البع، محمد رمضان. (٢٠١١م). «أسلوب النداء فى شعر حرب الفرقان». مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية). المجلد ١٩. العدد ١. صص١٠١٩-١٠٥٦.
حسيب، خير الدين. (أيار/ مايو ٢٠٠٦م). «العراق ... إلى أين؟: العملية السياسية مآلها الفشل ولا مخرج لأمريكا إلا المبادرة الوطنية». المستقبل العربى. السنة ٢٩. العدد ٣٢٧: صص٢٦-٦.
دون الاسم. (٢٠٠٣/٦/٨م). «دراسة حول كتاب المؤرخ البريطانى تشارلز تريب: تاريخ العراق؛ كمبريدج ٢٠٠٣م». صحيفة الشرق الأوسط. العدد ٨٩٥٨.
دون الاسم. (نوفمبر ٢٠١٠م)؛ «انتهاكات الولايات المتحدة الأمريكية لحقوق أطفال ونساء العراق». الاتحاد العام لنساء العراق بالاشتراك مع الاتحاد النسائى العربى العام. جينف: منظمة استشارية لدى المجلس الاقتصادى والاجتماعى فى الأمم المتحدة. صص١-١١.
سليمان، العميد محمد. (٢٠ آذار ٢٠٠٣م). «حول خصائص بعض أسلحة العدوان الأمريكى - البريطانى على العراق». الفكر العسكرى. العدد الخامس.
عبد الكاظم، رياض مهدى وآلاء طالب خلف. (٢٠١٥م). «المعلوماتية والحروب الحديثة، دراسة حالة الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣م». مجلة واسط للعلوم الإنسانية. المجلد ١١. العدد ٢٩. صص٢١٢-١٨١.
فتحى، ايهاب. (٧ أيار ٢٠٠٣م). «الصفقة، أسرار الإتفاق السرى لتسليم بغداد دون قتال». آخر ساعة، المصرية. القاهرة.

رابعا: المواقع الانترنتية

رميح، طلعت. (١٤٢٧ه). «تقسيم العراق: أمريكا سعى فعلى ونفى إعلامى؟!». خطط تفتيت المنطقة هل ستأخذ طريقها إلى التنفيذ؟. مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية. القسم الأول. عنوان المركز الالكترونى: alkashif.org؛ صص١٩-٢٧.
غالتونج، يوهان. (٢٠٠٧م). «سقوط الإمبراطورية الأمريكية». ترجمة دورية العراق

۲۰۰٤/۱/۱٤. مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية. القسم الرابع. عنوان المركز الالكترونى: alkashif.org؛ صص٦-۲۳.

القاسمى، على. (۰۸ Aug ۲۰۱۵م). «تنتمى إلى أدب الحرب فى العراق ... ما بعد الجحيم رواية كتبها طبيب نفسى بالدم على أكفان الضحايا». القدس العربى: .http://www.alquds co.uk/?p=۳۸٤۱۰۹.

مُرسى، محمد. (۲۰۱۲م). «الطفل العراقى فى ظل النزاعات المسلحة». مجلة المنال رؤية شاملة لمجتمع واع؛ تصدر عن موقع المنال الانترنتى: www.almanalmagazine.com.